الموجز المبين في قصص القرآن الكريم

تلخيص كتاب : دراسات فنية في قصص القرآن

للدكتور محمود البستاني رحمه الله

إيلاف محسن جواد
جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

أ.د. علي عباس الأعرجي
جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

The summary shown in the stories of the Noble Qur'an

Book summary: Technical Studies in the Stories of the Qur'an by Dr. Mahmoud Al-Bustani

Elaf Mohsen Jawad
University of Kufa / College of Education for Girls
Prof.Dr. Ali Abbas Al-Araji
University of Kufa / College of Education for Girls

سورة البقرة – قصة آدم

اعتمدت هذه القصة على عنصر (الحوار) في عرضها لقضية المولد البشري الأول ، وللحوار أهمية في الكشف عن الأحداث وتطويرها ، فقد كان الحوار بين (الله) جل جلاله والملائكة : اذا قال ربك للملائكة .....)

حيث إنّ الملائكة يشكلون انموذجا خاصا من مخلوقات الله عز وجل يتحركون عبر دافع واحد هو (العقل أو الموضوعية) ، وأنّ القصة إتجهت للحوار بدلا عن السرد؛ وذلك لأنّ هناك هدفين لها هما: معرفة دقائق أفكار الملائكة، ومعرفة المفارقات التي يشير إليها سلوك الشخصية المتحاورة. فالحوار قام بالكشف عن أفكار الملائكة بكل دقائقها حيال خليفة الأرض ، أمّا الأسرار الفنية في هذه القصة فهي التساؤلات من قبل الملائكة على اسكان الأرض مرة أخرى بعد أنْ سكنها الجان وأفسدوا فيها ، وبعث الله الملائكة فأجلوهم منها وعقب الله عز وجل وقال (يعلم مالايعلمون) والسرّ الفني الآخر هو اكتساب الشخصية الأدمية قدرا ضخما من التقدير ، والتفضيل . ودلالة ذلك قول الأمام علي ﷺ في حقيقة التركيبة الدافعية للآدميين والملائكة فقال: (فمن غلب عقله شهوته كان خيرا من الملائكة) وإنّ هذه القصة تدرجت فنيا في بيان أهمية الكائن الأدمي، حيث سحبت عليه سمة الخليفة ، وجعلته موضع تقدير خاص في ايداعه (علما) لم يتوفر عند الملائكة ؛ ثم المطالبة بسجود الملائكة له . وقد ذكرت القصة ظهور أبليس واسكان آدم وحواء الجنة ، والنهي عن الشجرة ، وأكلهما من الشجرة ، وزلتهما واخراجهما من الجنة ، ثم توبة آدم وقبولها ، وبعد ذلك هبوطهما والذرية في الأرض حيث كانت خاطفة سريعة لماحة كالبرق لا تحمل أي تفصيل ؛ وسبب ذلك هو إنّ القصة تستهدف العلم والخلافة في الأرض . ونستنتج من هذه القصة أنّ هناك أبطال رئيسيين وهو (آدم) ﷺ وثانويين وهم (الملائكة وحواء وابليس) حيث نرى شخصية آدم في جميع أجزاء وأقسام القصة ، و ذلك عبر (جعله خليفة ثم تعليمة للأسماء كلها وثم أمر ابليس والملائكة بالسجود ومن ثم سكنه الجنة وهبوطه الى (الأرض) . بخلاف الأبطال الأخرين (ابليس وحواء والملائكة) حيث كانوا ثانويين يمارسون وظائفهم في نطاق محدد ثم يختفون من المشهد ، والأحداث

حيث الملائكة انتهى دورهم في نطاق التساؤل عن الخلافة . وحواء تجسدت في عنصر التزاوج لاستمرار النسل البشري ، وابليس دخل القصة في نطاق التمرد والتضليل . ومن كل هذا نرى أنّ الرسم للشخص بطابع (النمو) والانقلاب في المواقف يمكننا أنْ نلاحظه مناسبا مع قضية المولد البشري الذي يتطلب صراعا مع طرفي التجاذب في السلوك .

قصة البقرة

العصب الفكري فيها هو ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَىٰ﴾ الذي تدور حوله القصة وإنّ البناء الهندسي لهذه القصة بدأ في (وسط الحادثة الاختلاف في معرفة القاتل واللجوء الى موسى عليه السلام للكشف عنه . هو ذبح البقرة ثم عادت الى البداية ، وهي حادثة قتل لأحد الاشخاص ثم النهاية هو احياء القتيل وهو الهدف الرئيسي للقصة ، ونستنتج من هذا كله سبب بدءها من الوسط حيث عرض المواقف الاسرائيلية التي يطبعها التمرد ، ونِعَم الله عليهم ، وسلوكهم الملتوي وذهنيتهم البليدة وترددهم وتشكيكم بما أمرهم موسى عليه السلام، وإنّ العصب الفكري فيها هو ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَىٰ﴾ الذي تهدف إليه القصة ، وبدأ البناء الهندسي لهذه القصة في (وسط الحادثة إذ الاختلاف في معرفة القاتل واللجوء الى موسى للكشف عنه. و ذبح البقرة ثم ارتدت الى البداية هي حادثة قتل لأحد الاشخاص ثم النهاية وهو احياء القتيل وهو الهدف الرئيسي للقصة .وإنّ نمط التعامل الإسرائيلي مع موسى عليه السلام في مطالبتهم بمعرفة القاتل ، يفسر سبب ذلك الوصف الممتع للبقرة ، والدخول في تفصيلات لافتة للأنتباه إلى حد كبير ، وقد تضمنت التفصيلات أربع طوابق من الوصف. جاء التفصيل الأول متصلا بثلاثة مظاهر : السن، اللون ،الهيكل .وجاء التفصيل الثاني جوابا للأول : السن اللون ،الهيكل .وكان التفصيل الثالث متفرعآ من الثاني، وفصلت في جزئيات كل من السن واللون والهيكل : ونستنتج من هذا كله سبب بدءها من الوسط عرض المواقف الاسرائيلية التي يطبعها التمرد ، ونعم الله عليهم وسلوكهم الملتوي وذهنيتهم البليدة وترددهم وتشكيكم بما مرهم النبي موسى عليه السلام.

قصة طالوت

تحدثت القصة عن مجموعة من كبار اليهود الذي نقضوا عهود الله (كما هو دأبهم طول التاريخ) فانتقم الله منهم وسلط عليهم جبابرة دمروا ديارهم ، وسبوا ذراريهم وأذلوهم كل اذلال ، وبدأت القصة عندما طلبوا من (نبي) بعثه الله في زمانهم عقب وفاة موسى ﷺ ، طلبو منه أنْ يبعث الله لهم قائدا عسكريا ينتشلهم من حياتهم المهينة التي يعيشونها؛ واستجاب الله لهم وأرسل لهم (طالوت) ، لكن السماء أعرف بطبيعة هذه النفوس، فكان انبعاث هذا القائد وفق خصائص معينة تتطلبها طبيعة المعركة التي سيخوضها ولا تتفق مع أحلام اليهود المريضة . حيث اعترضوا عليه محتجين بأنه لم ينحدر من أسرة عسكرية ، أو دينية وأنّه شخصية فقيرة لاتمتلك أموالا ضخمة ، ومع ذلك كان نبيهم مرنا حيال اعتراضهم حيث قال لهم : إنّ الله عوض فقر القائد وعدم انتسابه للأسر التي توارثت قيادة الجيش عوضه بسعة في العلم ، وقوة في الجسم وهذه من ابرز مميزات القائد العسكري ، لكنهم بدأوا يشككون في الأمر وطلبوا من النبي آية ، أو دليل على اختيار طالوت والدليل كان هو التابوت الذي انزله الله على ام موسى ﷺ فوضعت أبنها فيه ؛ وبسبب سلوكهم انتزع منهم التابوت ، ثم أعيد أليهم مع طالوت ، وللمرة الثالثة اعترضت وتمردت اليهود حينما أمرهم قائدهم طالوت أنْ لا يشربوا من النهر الاّ مرة واحدة أي غرفة واحدة لمصلحتهم لكنهم عندما وصلوا الى ساحة القتال قال المتمردون : لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده والفئة القليلة قالوا : النصر من عند الله وبالفعل بدأ القتال وانتهى بالنصر وقتل جالوت الشخصية التي استعبدت اليهود وأذلتهم.

قصة نمرود

إنّ هذه القصة من القرية الخاوية ، وقضية تقطيع ابراهيم ﷺ للطيور كلها تتحدث عن قدرة الله عزّ وجلّ في إماتة كل شئ وإحيائه من جديد ، وإنّ الناس على اختلافهم يتعرضون لتجربة الحياة والموت ، وإنّ هذه الشخصية متمثلة بأبراهيم ﷺ ، وهو شخصية فذة متميزة يكفي أنّه (خليل الله) والشخصية الثانية (إرميا ، وعزير) ؛ والشخصية الثالثة (النمرود) شخصية كافرة لا تفقه شيئا ، وهو الذي حاجج ابراهيم على احياء الموتى وعند محاججته من قبل نبي الله ابراهيم (بهت الذي كفر) ؛ ومدى صلابة ابراهيم عند تقدمه وهول النار

لم يعنيه ابدا ، فقد كان همة هو أنْ يلقي كلمة (الله) الى الأخرين ، ومن هذه القصة نستنتج كيف هي عقليةحكام الأرض الذين لا ينتسبون الى الله ومافيهم من ضلالة ، وبلاهة، وانغلاق فكر، وينهارون في أول مناقشة تواجههم .

قصة امرأة عمران

إنّ القصة هنا هي لأمرأة اسمها (حنه) تنتسب الى آل عمران هم نفر أشار القرآن الى اصطفاء السماء لهم حينما قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. وإنّ إمرأة عمران هي شخصية نسوية ، قدر لها أنْ تسهم بنحو أو بآخر في ممارسة الوظيفة العبادية على الارض . وهي قد نذرت للسماء أنْ تهب وليدها للخدمة في المسجد ، ويبين ذلك وعيها العبادي الحاد ، وإدراكها لمسؤولية ومهمة الكائن الانساني على الأرض ، وهنا غمر الموقف حدث مفاجئ هو أنّها جاءت بوليد أنثى، والأنثى لا تصلح لحمل الرسالة. أي لا تكون نبيا ، أو رسولا بسبب ما يعتريها من العوارض الخاصة بالنساء المانعة للعبادة ، فلا تصلح لخدمة المسجد ، إلاّ إنّ المفاجأة في ولادة الأنثى بدلا عن الذكر، هو ذهول إمرأة عمران حيث كان محفوظا بوعي عبادي لم ينقلها من شخصية متماسكة الى شخصية مهزوزه حيث قامت بتسميتها مريم ومعناها آنذاك العابدة والخادمة (واني سميتها مريم) ؛ ثم أنهت المواقف بالدعاء التالي:بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ وإنّ السماء تقبلت النذر، ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ .

قصة مريم

وهي القصة الثانية من قصص آل عمران ، ومريم بدورها تُجسد شخصية نسوية يغمرها النشاط العبادي ويشدها إلى الله أيضا ، وقصة مريم مثل قصة أُمها حيث إنّ إمرأة عمران قدمت ابنتها المنذورة مريم الى القائمين بشؤون المسجد ، وهم يمثلون الصفوة في مجتمعها آنذاك ، وقالت لهم دونكم نذيرة، وإنّ المعنيين بالأمر تنافسوا على النهوض بتنشأتها، بصفتها منذورة لمهمة عبادية خطيرة ، وبصفتها أبنة إمامهم وفي رواية عن الأمام الباقر ﷺ إنّ هؤلاء الشخوص وهم نبيون كما تقول الرواية قد لجأوا إلى القرعة ؛ فكانت من نصيب زكريا ﷺ وهو زوج أخت أم مريم ، وهو الذي إضطلع بتربيتها وتنشأتها بعد

عملية التنافس والاختصام حول من سيكفلها ، وقد أشار القرآن الكريم حول أهمية تنشئتها بعامة، وزكريا خاصة قال تعالى :بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ أَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾. والنصوص القرآنية ترسم لنا بيئة مريم حيث كان يطبعها (المألوف والنادر والمعجز) حيث كان (المألوف) هو ابتناء موقع خاص لمريم في المسجد و(النادر) ، وهو الذي جعل لها محراب بابه في الوسط لا يرقى إليه إلاّ بسُّلم مثل باب الكعبة ، ولا يصعد اليه سوا زكريا؛ و(المعجز) هي سلسله الأحداث المثيره التي كانت في حياة مريم مثل فاكهه الشتاء في الصيف وفاكهه الصيف في الشتاء ، والمحراب الذي كان يضيء من نورها وعنصر الملائكة مع الشخصية البشرية مريم عليها السلام ومحاورتها ، وببشارتها باصطفاء الله اياها، مثلما دعت أمّها لها ، وانجابها لنبي الله عيسى عليه السلام حيث نرى التلاحم العضوي بين قصة أمراة عمران وقصة مريم فالشخصيتان كلتاهما نسويتان وتعنيان بالممارسة العبادية الواعية، وتمتاز القصة بالتجانس والتلاحم حيث أنّ السورة قد رسمت بنحو يخضع له التخطيط الهندسي المحكم الموحي بأفكار خاصة تستهدفها السماء .

قصة المباهلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

إنّ قصة (المباهلة) تمثل انموذجا واحدا من الأحداث التي أفرزت سجالات عديدة منها : مجموعة نجران .وكانت هذه القصة في صالح الرسالة الإسلامية كما تنقل النصوص المفسرة أنّ النبي صلى الله عليه وآله أراد أنْ يباهلهم بشخصية عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، إلاّ أنّ المجموعة من نجران فزعت من المغامرة بقبول المباهلة فصالحوا النبي صلى الله عليه وآله على الجزية وانصرفوا وكان انتصارا للاسلام ، وهذه القصة كانت تماما كما كانت قصة النبي عيسى عليه السلام، حيث رفعه الله «عزوجل»إلى السماء وأنقذه من المؤامرة ونرى في نهاية هاتين القصتين البناء المعماري لقصص آل عمران والتجانس في كل أحداثها ، ومواقفها وشخوصها وبيئاتها.

قصة هابيل وقابيل

أحداث القصة بين أبني آدم ﷺ حيث أمرهم أبوهم أنْ يقربا قربانا إلى الله لحسم واقعة خاصة بهما ، وكان قابيل صاحب زرع فقدّم الرديء من زرعه قربانا ،أمّا هابيل كان صاحب غنم فقدم كبشا من أحسن غنمه قربانا ، وتقبل الله من هابيل ولم يتقبل قربان أخيه قابيل الذي قدم الزرع الرديء ، ومن هنا بدأ الحسد في أعماق قابيل وتخيل أنْ يكون لهابيل عقبٌ سيفتخرون به على ذرية أخيه هابيل .

لذلك قرر قتله لينفس عن أعماقه الحاسدة وفعلا تمت عملية القتل ، وقبل العملية جرى حوار بين القاتل والمقتول ، وفيه أعلن قابيل عزمهُ قتل أخيه فأجابه اخوه هابيل : إنّما يتقبل الله من المتقين الذين يحملون قلبا مخلصا ، وإنْ قررت قتلي فأنني لا افكر بقتلك أبدا ؛ لأني أخاف الله رب العالمين وبعدها هابيل قام بأخذ رأس أخيه ووضعه بين حجرين وشدخه . إنّ هذه القصة تضم ثلاث حوادث : هي حادثة (القربان) ، وحادثة (القتل) ، وحادثة (الدفن) ونستنتج من هذه القصة أنّ الحسد مرض تُدرك مناشئه وأعراضه بوضوح وينجم من بناء نفسي معقد تختلط فيه الأنانية بالحرص ، فيقود صاحبه إلى كراهية الآخرين، ثم تتضخم الكراهية حتى تصير أعمالا عدوانية خطيرة تصل قتل النفس الإنسانية ، وتفقد الشخص كل معالم الاستقرار النفسي وتدعه نهبا للتوتر والتمزق والصراع ؛ لأن همها منحصر في النظر إلى مايتمتع به الاخرين .

قصة الأعراف

هذه القصة لا تتناول بيئة الحياة الدنيا بل بيئة يوم القيامة .

إذ يقوم الحوار بين أهل الجنة والنار ؛ فيخاطب أصحاب الجنة أصاحب النار: هل وجدتم كما وجدنا ، صدق الوعد الذي قطعته السماء على العباد من عطاء ،وهو هذه الجنة التي ننعم بها وصدق العقاب الذي أنتم عليه ؟

فيجيب أصحاب النار: نعم وجدنا ما وعدنا الله حقا ، ويهتف منادي بين الفريقين : أنْ لعنة الله على الظالمين الذين صدوا عن سبيل الله واختاروا طريق الضلالة لهم واستهانوا بعقاب الآخرة .

ثم ينبثق حوار آخر يبدأ به أصحاب النار يبين شدّة عذابهم : أفيضوا علينا من الماء حتى ندفع به حر جهنم، وأطعمونا شيئا من الطعام الذي لديكم ، فيجيب أصحاب الجنة قائلين: أنّ الله قد حرم عليكم الماء والطعام ؛ لأنكم كفرتم بوعده حينما أخذتم الدنيا لعبا ولهوا وغرتكم الحياة .

ونرى أنّ هذه القصة صيغت وفق حوار ثلاثي على النحو التالي:

١- نادى أصحاب الجنة أصحاب النار .

٢- نادى أصحاب الأعراف ونادوا أصحاب الجنة.

٣- نادى أصحاب النار أصحاب الجنة .

وهذه الأطراف الثلاثة في الحوار هي التي اضطلعت بالكشف عن المواقف والأفكار التي تضمنتها حكاية الأعراف ، ومايهمنا هو البناء الهندسي الذي انطوى عليه عنصر الحوار من جهة عمليات التوازي والتقابل ، والتناسق بين أطراف الحوار .

قصة صاحب الجنتين

يتبادر إلى القول بأنّ هذه القصة شأنها شأن سائر القصص القرآنية تحفل بأسرار فنية بالغة الدلالة والامتناع ، بالرغم من قصر هذه الحكاية (من حيث الحجم اللغوي لها) ، وبالرغم من (الموقف) المنفرد فيها (من حيث النمط الفكري لها) وعلى الرغم من ذلك : فإنّ الأسرار الفنية في صياغتها :عناصر، وبناء تظل بالغة الإثارة والمتعة على نحو ما نبدأ بتوضيحها مفصلاً . تتضمن قصة (صاحب الجنتين) عنصراً بيئياً هو : جنتان لأحد البطلين، ومجداً اجتماعياً هو: الانتماء العشائري للبطل المذكور،كما تتضمن القصة صفتين : مؤمناً وكافراً. والاخير هو الأكثر مالا والأعز نفراً. وتتضمن القصة أيضا موقفاً هو : تباهي الكافر بماله وعشيرته ، ثم تصوره المادة بدوام هذا التملك وتشكيكه باليوم الآخر .وعلى العكس من ذلك . فإنّ البطل المؤمن ، يمتلك قضية هي : إيمانه بالله .ثم تأدية وظيفته العبادية المتمثلة في تقديم النصيحة لصاحبه ،ولفت انتباهه إلى أنّ المُلك لله .والى أنّ جنته من الممكن أنْ تصبحا صعيدا زلقا (أرضا جرداء) .وتتضمن القصة حدثا هو : إبادة الجنتين على نحو ما تنبأ به البطل المؤمن .وما أشد الوحشة التي داهمت صاحب الجنتين عبر الرسم الفني للبيئة ، وما

اكتنفها من مشاعر : مزرعة جميلة محفوفة بالزرع ،والاعناب ، والنخل ، والاثمار، ثم تباد فجأة.وإذا بصاحبها يقلب كفيه ، على ماأنفق فيها ،...ثم لايجد من ينصره.ثم يتمزق من جديد،حينما يُعلن عن أسفه المرير، بأنّه يتمنى لو لم يشرك بربه احداً... وتقليب الكف إشارة تفصح عن عمق المرارة ، والأسف بسبب ذهاب البساتين وقد أصبحا خاويين موحشين .

قصة النبي صالح عليه السلام

تبدأ قصة النبي صالح عليه السلام ؛ حينما نهض بمهمته الإصلاحية وأنّه قد أفلح في هداية فريق من قومه ، وأنّ فريقاً آخر قد ضلوا على غوايتهم وتبدأ القصةعلى لسان صالح عليه السلام إذ وحه إلى قومه سؤالا : لما تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ؟ ثم طالبهم صالح بالاستغفار لعلهم يُرحمون وبدلا من أنْ يستوعب السفهاء نصيحة صالح عليه السلام ؛ نجدهم يركبون رؤوسهم مصرين على تمردهم ، معلنين عن الأعراض المرضية التي تغلف نفوسهم معبرين عنها بمثل هذه الأقوال التي تعبر عن تفاقم حالتهم العقلية :﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ﴾ هذه الإجابة ، أو القول تكشف حقائق مهمة في حقل السمات الفنية والنفسية في القصة. وإنّ المفسدين في الأرض كما وصفتهم القصة .

﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ بدأوا في التفكير بمخطط الجريمة على هذا النحو فقالوا:﴿ تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ لقد تحالفوا فيما بينهم على جريمة القتل ، ثم قرروا أنْ ينكروا ذلك عند أولياء القتيل ، لكن السماء كانت لهم بالمرصاد . فأرسلت ملائكتها فرموا كل واحد بحجر فقتلوهم جميعا . وانزلوا في سطح جبل ،فخر عليهم .واوحي إلى صالح بالخروج، فنزل عليهم العذاب .﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ...﴾ .

قصة النبي داود

إن أول الحكايات التي بدأتها سورة سبأ هي حكاية داود عليه السلام وهذه الحكاية من حيث الحجم لا تتجاوز آيتين فحسب وكذلك حكاية سليمان وسبأ، وهذا يعني إنّ الحكايات تتسم بحجم صغير ؛ لأنّها تتدرج من حيث تسلسلها من الصغير الى الأكبر منها ، وإنّ خضوعها لحجم الحكاية ، والتدرج سيسهم في اكسابها بناءً هندسيًا له متعته الفنية الكبيرة

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؛ يلاحظ بوضوح أنّ القصة أو الحكاية تتضمن حدثين ، أو أكثر تتسم جميعاً بطابع «المعجز». ويلاحظ ثانياً : أنّ الحكاية تتحرك في بيئة انسانية وحيوانية ، وصناعية وطبيعية.

ونلاحظ طابع الاعجاز بكلّ من الجبال ، والطير، والحديد وكلها تحدد بوضوح عطاء (الله) لداود عليه السلام ، حيث نرى أنّ القصة تضمنت هدفاً فكرياً محدداً هو الفضل ، والنعم التي تغدقها السماء على الآدمين .

قصةاصحاب القرية

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

إنّ هذه القصة لم تهدف إلى مجرد تكثير الرسل بل أوضحت بأنّ السماء عززت الرسولين برسول ثالث . وإنّ الاستنتاج الفني القاضي بأنّ المدينة التي توجه اليها أكثر من رسول تدلنا بوضوح على أنّ القوم بطبعهم مرض نفسي خطير هو: الطيرة والوسوسة ، والتردد والشك ، وسواها من الأعراض المرضية التي لحظناها عند الشخوص المنعزلين عن السماء بشكل عام. وإنّ الحوار القائم بين الرسل الثلاثة، وبين القوم يكشف إنّ القوم لم يستجيبوا لنداء الحق حتى إنّ الرسل وسموا أهل القريه بأنّهم مسرفون ظالمون في موقفهم هذا ، مما يكشف عن استمراريتهم في ركوب الذات الكافرة ؛ وأكثر من ذلك فإنّ القسم الأخير من القصة خاصٌ بدخول بطل جديد الى المعركة الفكرية ، هذا القسم أيضا يفصح عن أنّ القوم لا يزالون في ضلالهم ؛ ونستمع الى البطل الجديد في آخر الحوار الذي أجرته القصة على لسان هذا البطل الرابع حيث انتهى به المطاف إلى أنْ تقطع القصه تسلسلها الموضوعي ، وفي نطاق الزمن وتنتقل بالبطل الى اليوم الآخر ثم تعبر به الى مكانه في الجنة حيث يتحدث قائلا: (ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفرلي ربي وجعلني من المكرمين) ، وعندها تعود القصه الى حيث قطعت سلسلة الزمان فتعود الى عرض بيئة الحياة الدنيا متحدثة عن مدينه انطاكيا ، وهذه النهايه القصصية للقوم تفصح بوضوح أنّ القوم لم يستجيبوا لرسالة

السماء بحيث أبيدووا عقابا لهم على كفرانهم في الدنيا قبل الاخرة .

قصة يونس

بدأت القصة بمجرد التلميح الى أنّ يونس ﷺ من المرسلين، وإلى أنّه فرّ من قومه وركب سفينة مشحونة ، بالناس والأحمال، وإلى أنّه قد ساقته القُرعة الى أنْ يكون من نصيب البحر، فيلقى فيه دون غيره من ركّاب السفينة. السؤال لماذا فرّ يونس وركب السفينة؟ ثم لماذا حدثت عملية القرعة لألقاء أحد الاشخاص في البحر؟ ثم لماذا كانت القرعة من نصيب يونس؟ من الركاب دون سواه ؟

كل هذه الاسئلة تتطلب جوابا فنيا ، فقصص يونس التي عُرضت في آيات مختلفة من القرآن الكريم ، أشارت إلى أنّه ذهب (مُغاضبًا) لقومه حينئذ نستخلص من مجموع القصص: دعاء يونس ﷺ على القوم، وأنّ القوم دعوا الى الله، وإلى أنّ الدعوتين قد استجيبتا : لكن وفق تفصيلات . وأنّ النصوص المفسرة تتراوح بين الذهاب إلى أنّ يونس ﷺ استسلم لإرادة السماء ، بأنْ ألقى هو نفسه في البحر بعد وقوع (القرعة)، أو إنّ المقارعين هم الذين القوه في البحر... ففي الحالين فإنّ حدثا رهيبا ، مثيرا، مدهشا ، سيواجه يونس ﷺ، وهو في غمرة الوقوع في أمواج البحر الرهيبة ، فنحن الآن حيال بيئة جديدة ، كل الجدّة ، بيئة البحر التي لا ينفع معها اي تكيّف، بل يظل الأمر منحصرا في ممارسة واحدة هي: الأستسلام لأمواج البحر، تتلقف الغريق ، وتطويه في اعماق البحر،... وينتهي كل شيء.

بيد أنّ حدث مفاجئا ظَهر في غمار هذه المشاعر التي لفها اختبار السماء . وتسردالنصوص لنا أنّ (حوتا) كان ينتظر السفينة، على مقربة منها ،... حتى أنّ يونس ﷺ فزع منه ، وكان الحوت أمام السفينة، فأتجه يونس ﷺ إلى مؤخرتها ،... لكن الحوت دار الى يونس ﷺ ، وفتح فاه ، فالتقمه. السؤال هنا من جديد ، وتغمر الدهشة والأنبهار لقارئ هذه القصة، أو سامعها . إنّه يتساءل: ما هي مده اللبث؟ ما هو زاد يونس؟ كيف يمارس العبادة، ثم يقف القارئ على دلالة فكرية هي : التسبيح ويستنتج أنّ للتسبيح أهمية كبيرة في تغيير مجرى الأحداث. وإنّ القصة عبر هذه الطريقة غير المباشرة قد أوحت لقارئ القصة وسامعها، بأهمية الدعاء، وبأهمية التسبيح ، وبأهمية ذكر الله على كل حال ، بحيث أنّ الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن، ولكن لا تصيب الذاكر لله سبحانه وتعالى . وأنّ الله سبحانه وتعالى

أوحى إلى الحوت بمايلي :(إني لم أجعل عبدي رزقا لك ، ولكني جعلت بطنك مسجدا له.فلا تكسرن له عظما ،ولا تخدش له جلدا) .

وتعرض لنا النصوص رحلة يونس في بطن الحوت،... وإلى أنّه طاف بيونس ﷺ البحار السبعة ، وإلى أنّه مكث أياما،.. حتى انتهى به المطاف إلى أنْ قُذِفَ الى الساحل ، ويونس في الآن ذاته من المرسلين ، والمرسلون محفوفون بعناية خاصة من السماء ، نظرا لاخلاصهم ، والقصة من حيث بنائها الهندسي بدأت مع شخصية يونس ﷺ (هاربا) من قومه ، و(انتهت) مع شخصيته (عائدا) الى قومه. في المره الأولى، هرب منهم مُغاضبا... وفي العودة، اتجه نحوهم مُبلغا ، ذهب عنهم بوجه، وعاد اليهم بوجه آخر... وفي ضوء هذا التناسق الهندسي بين الذهاب والعودة قطع يونس رحلة اختبارية خرج منها بمحصل جديد بعد أنْ تعرض للأهوال التالية : غربة السفر، مفاجأة القرعة الهادفة الى القائه في البحر، فزعه من الحوت ، الذي لاحقه من مقدم السفينة الى مؤخرها ، وقوعه في أعماق الحوت ، لبْثِهِ أياما ساقته الى المرض، نبذه بالعراء، تسربلِهِ واقتياته النبات لكن الرحلة لم تمتدّ طويلا، ربما كانت لثلاثة أيام، أو أسبوعا ، حسب النصوص المفسرة ، إنّ الرحلة ذهابا وإيابا، برا و بحرا، منذ بدء الهروب من القوم ، وحتى العودة الى القوم، كانت أربعة أسابيع. تم فيه تفجير أكثر من حدث ، وموقف ، ومفاجأة ، سواء كان متصلا بشخصية يونس ﷺ التي عادت بتركيبه جديدة، في ما يتصل بنمط الأداء الرسالي ، أم كان متصلاً بالقوم الذين أوشك العذاب أنْ يستأصلهم ، لولا أنْ تداركهم احدُ الحكماء ، واقترح عليهم الإلحاح في الدعاء ، فيما تحقق ذلك فعلا.. وعندها سواء أرجع يونس الى قومِه بأعيانهم، أم الى قوم جدد ،...فإن الدعاء أنقذهم من العذاب، وآمنهم إلى حين.

قصة النبي ايوب ﷺ

إنّ نبي الله أيوب ﷺ قد واجه محنة بالغة الشدّة ، وإنّه إستجاب لها استجابة صابرة تدعو الى الدهشة والإنبهار .

ولنقف على نمط المحنة التي تعرض لها أيوب ﷺ ونمط الاستجابة حيالها ؛ بغية أنْ يفيد المتلقي منها في تعديل سلوكه، وضبط انفعالاته، حيال الشدائد التي يواجهها تأسيا بالأنبياء الكرام الذين اصطفتهم السماء ، نماذج رفيعة في سلوكهم العبادي على الأرض .

وتتفاوت النصوص المفسره في تحديد نمط البلاء ، والعذاب النازلينِ على أيوب ﷺ فبعضه يتصل بذهاب اهله ، وولده ، وبعضه يتصل بذهاب ممتلكاته، والآخر يتصل بمختلف الأمراض التي لحقت به ، وهذا يعني أنّ البلاء والعذاب، شملا الحاجات ، أو الدوافع الرئيسية التي لابد من إشباعها لتحقيق التوازن الداخلي للشخصية ؛ فالمرض بمفرده كافٍ في إحداث التوتر الذي لا إزاحة له إلاّ بذهابه ، وخاصة الأمراض التي يصاحبها الألم من جانب ، واستجابة الاخرين السلبيه من جانب آخر. هذا يعني أنّ السماء طالبت أيوب ﷺ بأنْ يغتسل من ماء معين .لذهاب العرض الجسمي الذي ألمّ به ، كما طالبته بأنْ يشرب منه . فإنّ الصبر يتطلب قابلية تحمل كبيرة ، والصبر لا يمارسه إلاّ العباد الذين اصطفتهم السماء ومنهم أيوب ﷺ. وكان أيوب ﷺ يزداد شكرا لله كلما تضاعفت الشدة والمرض لديه، حتى انتهى إلى إزالته ، وفضلا عن المرض كان ذهاب الأهل واحدا من أنماط البلاء الذي واجهه أيوب ﷺ ، لكن بصبره ، وإيمانه ، رد الله على أيوب ﷺ أهله الذين هلكوا، وأعطاه بمثلهم بنين وبنات.إذن : يضلّ البلاء والعذاب الذي أصاب أيوب ﷺ بالغ الشدة، وأن! أيوب ﷺ استجاب للبلاء ،إستجابة صابرة تتناسب مع شدة البلاء ،وتضل النتيجة الحتمية هي (أنّ الفرج بعد الشدّة).

قصة الجنات الأربع

النصوص المفسره تعطي صورة واضحه عن هذا الجانب حيث يقول أحدها عن الامام الباقر ﷺ:(إنّ الرجل يهجم على شهوة من شهوات الدنيا وهي معصية فيذكر مقام ربه فيدعها من مخافته ، فهذه الآية فيها هاتان الجنتان للمؤمنين والسابقين) ، ويقول ولده الامام الصادق ﷺ:(تعقيبا على الآية المتقدمة الكريمة من علم أنّ الله يراه ويسمع ما يقول ، ويعلم ما يعمله من خير وشر فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال (فذلك الذي خاف مقام ربه) هذان النصان المفسران صريحان في أنّ الجنتين التي رسمتهما القصة إنّما تكون من نصيب أولئك الذين يتركون المعصية مخافة من الله ، أولئك الذين تحجزهم مخافة الله عن ممارسة القبيح من الأعمال فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال ؛ إذن الالتزام بمبادئ السماء دون أنْ يصحبها وقوع في المعصية هو الذي يسوغ للابطال أنْ يحتلوا موقعاً في الجنة لا يحتله آخرون صدرت المعصيه منهم بشكلٍ أو بآخر تقول القصة : (ذواتا أفنان، فيهما عينان

تجريان، فيهما من كلّ فاكهة زوجان،متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان ، فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان كأنهن الياقوت والمرجان) ؛ هذه هي أبعاد ، أو مفردات الجنتين العاليتين ، اللتين تمثلان أعلى درجات الجنّة بالقياس إلى درجة دونهما ، وتقول القصة أيضا عن الجنتين اللتين تمثلان درجة أدنى (مدهامتان، فيهما عينان نضاختان، فيهما فاكهة ونخل ورمان، فيهن خيرات حسان ، حور مقصورات في الخيام لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان ، متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان)، وهنا سمة جديدة من سمات الفن العظيم الذي قام عليه هيكل القصة ، وأنّ العناصر المشتركه في الجنات الأربع تمثل خمسة عناصر هي : (النبات أو الزرع ، الماء والعيون، الفاكهة، الفُرُش، الحور) وإنّ العنصر الثاني هو الماء في الوصف الأول العينان تجريان ؛ أمّا الوصف الثاني فهو فوران العينِ ؛ أمّا العنصر الثالث فهو الفاكهة . فإذن الفارق كبير في درجة الأمتاع ، أو الأشباع الذي تحققه السماء لأبطال الجنة فالأبطال العلويون يتناولون من كل فاكهة زوجين نوعين. أمّا الابطال الأقل درجة ، فإنّ سمة الزوجين ، أو النوعين من الفواكة قد اختفت في جنيتيهما واكتفي من ذلك بسمة أنّ فيهما فاكهة بضمنها أشهى الفواكة وهي النخل والرمان، أمّا ما يتعلق بالفُرُش وهو العنصر الرابع فقد قالت القصة إنّ أبطال الدرجة الأولى والثانيه ينعمون بالجلوس والمكان بنحو خاص وهو الاتكاء وليس مجرد الجلوس ، إلاّ أنّ الفارق بينها الشخصيات التي كانت تخاف مقام ربها في الحياه الدنيا بحيث لم تصدر عنها معصية من المعاصي، وبين الشخصية الأدنى منها هو إنّ الترف الذي يصاحب جلوس الشخصيات العليا بلغ من التنوع والأمتاع الى الدرجة التي هيأت لهم الفرش ذات بطانة عليها بطانة من الأستبرق ، ومن الحرير ، وثمار الجنة على مقربة من أفواهها ، مع العنصر الخامس وهو (الحور) كأنّهنّ الياقوت والمرجان ، هذا الامتياز خصص لأصحاب الجنتين العاليتين ، أمّا الجنتين الأدنى منهما فهما (فيهن خيرات حسان وحور مقصورات في الخيام)هذه السمات الثلاث فيها (القاصرات وخيرات ومقصورات) ما لفت الانتباه اليها هو : إنّ الفارق بين بيئة الحياة الدنيا ، والبيئة الأخروية هو انتفاء عنصر الصراع في التركيبة البشرية.ومادام التلاحم بين البيئتين: الدنيوية والأخروية من الوثاقة الى الدرجة التي يتوقف مستقبل الشخصية فيها على ما نمارسه من النشاط العبادي الذي خُلقنا من

أجله. وإلاّ تفلت الفرصة في استثمار أقصر لحظة زمنية وتوظيفها من أجل الحياة الابدية في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

قصة أصحاب اليمين

وصفت بيئة أصحاب اليمين في الجنة بأنّ ما يكتنفهم هو:

١- سدر مخضود، أي منزوع الشوك لا يكلف صاحبه تعب.

٢- طلح منضود نوع من الثمار او الأشجار يتميز بالطعم اللذيذ.

٣- ظل ممدود لا تنسخه الشمس التي تعهدها.

٤- ماء مسكوب لا ينقطع عنهم.

٥- فاكهة كثيرة لا تنقطع في موسم دون آخر ولا تمنع.

٦- فرش مرفوعة قد تكون بسط عالية وقد تكون رمزا للحوار.

إنّ هذا الوصف يبين لنا الفرق بين السابقين، وأصحاب اليمين الذين ذكرتهم الآية. وإنّ مستويات الترف التي ذكرت في وصف السابقين قد أختفت تماما سواء كان ذلك متصلا بالمكان، أو الأكل، أوالشرب، أو الخدمة. والسابقين هم النخبة البشرية التي أعد لها مكان خاص في جنات النعيم حيث وصف السابقين. ومن جهة الخدمة: لم يرد وصف للكؤوس والأباريق والأكواب مجتمعة، إلاّ في مورد واحد هو وصف السابقين. أمّا من حيث الأكل فان لحوم الطير لم ترد إلاّ في مورد واحد. وللمرة الجديدة إنّ الدلالة الفكرية للقصة مؤشر إلى أنّ الشخصية الاسلامية بقدر ما تتنازل عن ذاتها في الحياة الدنيا؛ تحقق اشباعا أخرويا يتناسب مع درجة تنازلها عن الذات، وفي هذا كفاية لكل متفكر ومعتبر. وإنّ حجم التنازل عن الذات في الدنيا يتناسب مع حجم الاشباع في الأخرى، وهو الوصف الذي بدأت القصة به في بيئة أصحاب الشمال، بعدما انتهت من وصف البيئة للسابقين، وأصحاب اليمين أول ما بدأت به في وصف أصحاب الشمال (بسم الله الرحمن الرحيم إنّهم كانوا قبل ذلك مترفين) والترف: يعني قمة الاشباع للحاجات الدنيوية.

قصة نوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ؛ تبدا قصة نوح ﷺ باخبار ووصف أنّ القوم كانوا عاكفين على عبادة غير الله، كما أنّهم كانوا متمردين ، ومستكبرين عن العبودية ؛ ولابد أنْ نستلخص أيضا أنّ تمردهم قد اكتسب صفة خاصة بحيث تطلب منهم مثل هذا الانذار ، لكن السماء وهي حانية على عبادها إنّما تضع أمامهم فرصا متنوعة بغية أنْ يعودوا إلى صوابهم . فهي أولآ : تعدهم بأنّها ستعفو عنهم وتتجاوزعن خطيئاتهم السابقة ؛ وتعدهم ثانيا بأنّها ستؤجل أي عقاب يستحقونه إلى أجل مسمى ؛ وتؤكد لهم ثالثا بأنّ العقاب المؤجل سيكون حاسما لا رجعة عنه، إنّ نوح ﷺ قد بدأ بتطبيق أوامر السماء فعلا . حيث قال لهم بوضوح : ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ، ولوّح لهم بمغفرة السماء ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ ، ولوّح لهم بتأخيرالعقاب ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ، ولوّح لهم بأنّ العقاب لا رجعه عنه﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ...﴾ ؛ ولكن ما هي فاعلية هذا الانذار؟ وإنّ القوم لم يستجيبوا لنوح ﷺ .

لقد كشف المستكبرون من قوم نوح عن ذروة المرض الداخلي الذي يعانون منه ، حينما ترجع أعماقهم الكريهة الى سلوك حركي وهو وضع أصابعهم في آذانهم تعبيرا عن رفضهم الطفولي لرسالة الخير التي دعاهم إليها النبي نوح ﷺ، كلنا نلاحظ اصرار نوح ﷺ فهو لم يترك وسيلة إلاّ ومارسها بأقصى ما تتطلبه من جهد، فكان يدعوهم إلى طلب المغفرة نهارا كما كان يدعوهم الى ذلك ليلا ،وكان يدعوهم إلى طلب المغفرة علانية ، كما كان يدعوهم على ذلك سرا، ثم إنّ نوح ﷺ لم يكتفِ بذلك بل ظلّ يذكرهم بنعم الله تعالى موضحا لهم أنّهم لو يستغفرون الله لغفر لهم . وظل نوح ﷺ يواصل شكواه من المستكبرين ؛ مبينا أنّه قد سلك طريق الثواب في حملهم على الايمان بالله ، فقد طلب المغفرة ولوّح لهم بالثواب العاجل، من أمطار ،وأموال ، وبنين، وجنات، وأنهار، أي طرائق الثواب، بأشكالها المتنوعة. وقد يشكل الثواب منبه لهم في الاستجابة للخير ، وقد يشكل العقاب منبها لهم على ذلك وقت تشكل الحقيقة الموضوعية غير المقترنة بالثواب والعقاب . ولقد استمر نوح في شكواه الى السماء من قومه المستكبرين ، فبعد أنْ أوضح إنّه سلك ثلاثة أساليب في تعامله مع المستكبرين : (أسلوب العقاب وأسلوب الثواب وأسلوب الحقيقة الموضوعية) ؛ اتجه

الى السماء شاكيا إليها تمرد القوم وجهالتهم ، ومكرهم، واصرارهم على عبادة الاوثان .

قصة إسلام الجن

إنّ القصة القرآنية الكريمة لا تستهدف عرض الحقائق ، أو الأبطال غير الآدميين لمجرد التسلية و الإمتاع ، بل هدفها من ذلك تعريفنا نحن البشر بحقيقة مهمتنا العبادية في الأرض، والإفادة من تجارب الآخرين في تصحيح سلوكنا وتعديله ، وإنْ كانوا من غير صنف البشر. إنّ الجن مخلوقات غير مرئية لها بيئتها الخاصة التي كيفتها السماء لهم،... كما أنّهم مثل الآدميين وسائر المخلوقات لم يُخلقوا عبثا، بل من أجل مهمات خاصة يضطلعون بها. وإنّ القصة عندما بدأت بهذا الشكل استمع نفر من الجن فقالوا:﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾، جعلتنا نفكر في جملة من التصورات لهذه البداية الفنية في القصة . وإنّ القارئ يطرح أكثر من سؤال في هذا الصدد: هل قرأ النبي ﷺالقرآن على الجن كما قرأه على الانس؟، وهل إنّهم استمعوا إليه عند قراءته على الأنس؟ ، وهل قرأ بلغتهم ؟هل يفقهون اللغة العربية؟، وهل أتيح لمجموعة من الجن أنْ يستمعوا ذلك دون أخرين؟ ؛ إنّ هذه الأسئلة تثار في ذهن القارئ دون أدنى شك ؛ ويبدو لنا إنّ شخصية الجن الذين استمعوا إلى القرآن عند نزوله وعقبّوا على ذلك قائلين : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ ويبدو إنّ هؤلاء الأبطال يشكلون مجموعة خاصة تتميز بوعي، أو موقع اجتماعي متميّز، لم يتوافر عند الآخرين ،على نحو ما نجده في نطاقنا الأدمي مثلا،... وإلاّ لمَ يتهيأ لهذا النفر منهم دون سواهم مثل هذا الاستماع للقرآن ، وإدراك رسالة السماء بحيث أسرعوا إلى أصحابهم ينقلون إليهم هذه الظاهره العظيمة .

ومعروف إنّ مجتمع الجن لابدّ أنْ يشبه مجتمع الأدميين في طبيعة بنائهم النفسي والفكري ؛ وفي مقدمتها الموقف الفلسفي من الكون ومبدعه فلنستمع إليهم أولا وهم يواصلون القاء كلمتهم على جمهورالجن حيث قال هؤلاء النفر: (إنّا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وإنّه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً)، فالكلمة التي ألقاها هذا النفر على جمهور الجن تتحدث عن ظاهرة التوحيد وعدم الشرك بالله ، ويقول هؤلاء النفر المؤمن من الجن مواصلين القاء كلمتهم على الجمهور:(وإنّه كان يقول سفيهنا على الله شططا) ، وهذه الكلمة ذات دلالة فنية وفكرية كبيرة ، وتتمثل أهميتها

في أنّها صادرة من رهط ينتسبون الى عنصر الجن ويعرفون رئيسهم تمام المعرفة حيث خلعوا عليه صفة (السفيه) ، وواضح أنّ كلمه السفيه لا تشرف صاحبها بأي حال من الأحوال؛ لأنّ السفاهة نوع من أمراض التخلف العقلي .

ولا شيء أشد ألم في النفس من أنْ يرى كبيرهم الذي أظلّ مجموعة من الجن، يرى هذا الرئيس أنّ متبوعيه يطلقون عليه صفة السفاهة بعد أنْ خُيّل اليه أنّه قد نجح في إضلالهم. ولنتابع الآن ، نصّ الكلمة التي ألقاها نفرٌ واعٍ من الجن على جمهورهم قال هذا النفر بعد أنْ عرض لسمة (السفاهة) على الشيطان : (إنّا ظننا أنْ لن تقول الأنس والجن على الله كذبا) ؛ هنا يتم كشف شيء جديد من الموقف ، من هنا ، فإنّ أبطال الجن محقون كل الحق في ظنهم الذاهب إلى أنّه لا يمكن لأنسي ، أو جني أنْ يفتري على الله كذبا .

وإنّ الواعين من شخصيات الجنّ أوضحوا أنّ الحقيقة هي الأيمان باللهّ .فيما لا يخاف معها أي بخس ، أوأي رهق ، مما يعني، في نهاية المطاف إنّ الآدميين أحق بإدراك مثل هذه الحقائق التي أغدقتها السماء عليهم، حيث وعاها نفرٌ لم ينزل القرآن على بطل منهم بل على بطل من الآدميين . وبلغة يفهمونها جيدا. وهكذا نجد أنّ القصة الممتعة التي نقلت تجربة الجنّ الينا ، تظل نموذجا من طرائق فنية متنوعة ، توصلها إلينا بغية الإفادة، منها في تعديل سلوكنا، وإدراك حقيقة المهمة العبادية لنا.

قصة اصحاب الفيل

النص القصصي يقول لنا إنّ هناك رهطا ، أو مجموعة هم أصحاب الفيل . ويشير إلى أنّ كيدهم رُدَ إلى نحورهم متمثلا في إرسال السماء عليهم أسرابا، من الطيور تقذفهم بحجارة صلبة حتى تقطعت أوصالهم ، فأصبحت مثل الزرع الذي أكلته الدواب، وراثته وداست عليه. وكل ذلك من أجل اسباغ النعمة على قومهم قريش مضافا إلى أنّ قريش قد أسبغت عليهم نعمة أخرى، هي تهيئة رحلات تجارية لهم، في الشتاء والصيف .لتأمين الراحه لهم حتى لا يصيبهم جوع ولا يهدد أمنهم أي خوف من الأعداء ، الذين يُغيرون على مَنْ يسكن حول مكة . إلى هنا فإنّ القارئ لهذه القصة بمقدوره أنْ يستخلص بأنّ القضية تتصل بقوم قريش وبالكعبة ، التي يعيش هؤلاء القوم في ظلها. وتقول النصوص المفسره : إنّ (ابرهة) حاكم اليمن وهو حبشي بدافع من عقيدته الملتوية ، وأسباب أخرى ، قرر هدم البيت

الحرام فزحف بجيشه الذي تقدمه (فيل) كان الحاكم يباهي بهذا الفيل الآخرين ، زحف نحو مكة، إلا إنّ الفيل ربض، وامتنع من الدخول. وكانت هذه الحادثة أول مؤشر لفشل الهجوم . بَيدَ أنّ قريشا في ما يبدو هالهم هذا الزحف . فالتجأوا إلى رؤوس الجبال قائلين لا طاقة لنا بقتال هؤلاء . وهذه الحادثة تظل مؤشرا لأول وهلة وكأنّ الزحف محفوف بالنصر، وهناك حادثة ثالثة رافقت هذه العملية ، وهي أنّ الجيش استولى على أبل عبد المطلب ﷺ الذي بقي هو وبعض الأفراد من أهل بيته على حراسة البيت ، وحيال هذه الحادثة ، طالب عبدالمطلب ﷺ ابرهة برد أبله ، مما ترك ردّ فعل سلبي في أعماق ابرهه قائلا له بما مؤداه: كنت أتخيل إنّك تطالبني بالكف عن الكعبة، وإذا بك تطالبني بمكاسب شخصية . وعندها أجابه عبد المطلب : إنّ للبيت ربّا يحميه. هذه الاجابة ، تشكل بدورها مؤشرا لفشل الهجوم، ما دامت القضية قد ارتبطت برب البيت. وبدأت القصة برسم الفشل الذي رافق حملة أبرهة على الكعبة ، بيد أنّ فشل هذه الحملة لم يتم على يد (أبطال آدميين) توجهوا الى ساحة القتال لرد العدوان، بل تم على أكُف وأجنحة ومناقير ومخالب (أبطال) ينتسبون الى عناصر مخلوقة أخرى هي : (الطير). وقد مارس هؤلاء الطيور الأبطال أدوارا كثيرة متنوعة في قصص اخرى ، مثل قصص داوود، وسليمان .وهم حين يمارسون نشاطا إعماريا أو سياسيا، أو عسكريا ، كما هو شأنهم في قصص سليمان ﷺ .إذن : بدأت طلائع الزحف في شكل سواد من جهة البحر ، حتى اقترب من ساحة المعركة ، وعندها ، شاهده البعض بوضوح ، وعرف أنّه طير . غير أنّ هذه الطيور لم تكن عادية من حيث سماتها الخارجية بل كانت ذات أشكال متميزة. وتقول بعض النصوص المفسرة (كان طير ساف جاءهم من قبل البحر.رؤوسها كأمثال رؤوس السباع واظفارها كأظفار السباع) مما يعني إنهم أبطال من نمط خاص تتناسب مع هيئتهم الضخمة مع جسامة المعركة التي يخوضونها وتقول النصوص المفسره أيضا إنّ كل طير يحمل ثلاثة أحجار واحدا في منقاره وإثنين في رجله، وهذا يعني أنّ سلاح الأبطال قد جهز بنحو مستكمل فيما يتصل بحمل الذخيرة . وتم استعمال الحجارة دفعة واحدة أي القاء الحجارة الثلاث على العدو، والمضي الى سبيله بعد انتهاء الذخيرة . وينتهي القسم الأول من قصة أصحاب الفيل بابادة العدو إباده تامة على يد أبطال الطير. وإنّ الإبادة كانت عبر اختراق الحجارة أجسامهم وخروجها من الطرف

الاخر. والنحو الآخر من الإبادة كانت : إصابتهم بالجدري ، وتمزق لحومهم ، بسبب من الحك الذي أحدثته كيمياء الحجارة . فأصبح الأعداء كعصفٍ مأكول ، وتعني العصف المأكول هو :التبن المأكول يعني ما يبقى منه بعد لفظه الى الخارج . وأنّ الصورة الفنية شبهت تناثر ، وتقطع ، أجساد العدو بتبنٍ أكلته الحيوانات. ثم راثته ، وداست الأقدام على ذلك الروث حتى تناثر هنا وهناك لحمهم ،وإنّ التذكير بهذه النعم يظل مستمرا .

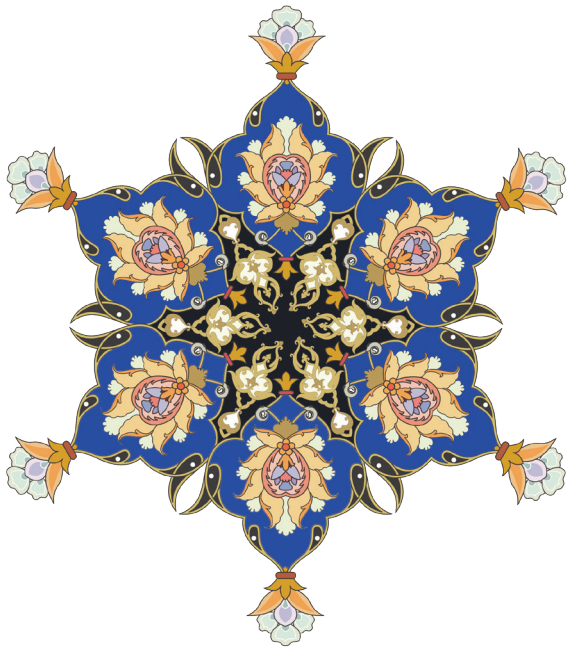

بسم الله الرحمن الرحیم
شرح وافی صافی زاد ای

نور السموات والأرض
مثل نوره كمشكاة فيها مصباح
والله على كل شيء قدير